السفر العجيب الى بلاد الذهب

للاب اميل ريفو اليسوعي (تابع لما سبق)

قال هذا ودخلا في الجنينة المذكورة. وكان فاضل كلما شاهد قفصاً يقف متحيّرًا متدلهًا ويصيبهُ من الذهول ما لا يفي به الوصف. وبعد أن زارا جنينة الحيوانات ذهبا الى البرادو (Prado) ومنهُ الى جنينة بورلي الواقعة على شاطئ البحر. وكانت ساعة الظهر قد دقت قبل ان يعود فاضل الى مقرّه فالتفت رفيقه وقال: «ما اظنّ انك ذقتَ في عمرك اكلة بولياباس وحيث قد برّح بي الجوع فلا استطيع ان اعود بك الى رصيف جوليات وانا طاوي الحشا على الطوى ولا شك انّ بك مثل ما بي. فتعالَ ندخل هذا المطعم لنتغدّى فيهِ رايَ حرَج على المرء ان يتغدّى مرّةً مع صديقهِ ولو ادّى ذلك الى بعض الإسراف»

وكان فاضل قد جاع فانقاد الى صاحبه كما انقاد لهُ من قبل ولم يكن عالمًا حقيقة الامر ولو انهُ درى انّ تناوُل الطعام في الفنادق يفضي الى بذل الدرهم لتوقّف عن مجاراة ذاك الصديق المجهول ولكنهُ كان يتصوّر انهُ يدعوهُ للغداء على حسابهِ. وعلى هذا الفكر دخل بهيّته الى قاعات فسيحة حسنة الرياش مرتفعة النوافذ مطلّة على البحر قد تزيّنت جدرانها بالمرائي العديدة وموائدها بالصحف والاواني الفضيّة وسقوفها بالثريّات المتلألئة. فتذكر فاضل حينئذٍ قهاوي الاسكندرية وما جرى لهُ فيها ممّا تقدّم ذكرهُ فاقترب الى صاحبه كأنهُ يريد الاختفاء وراءهُ من انظار القوم. ثم انّ الاثنين جلسا الى مائدة صغيرة بجانب احد تلك الشبابيك

وفي الحال جاء احد خدّام المطعم ليعلم ايّ لون من الوان الطعام يشتهيان. فقال رفيق فاضل: «تأتينا اوّلًا بشراب يهيّج شهوة الاكل. وبعد هذا تحضر لنا صحفةً من بولياباس وتضيف اليها بعض القناني من نبيذ بوردو لاني عزمت أن أحسن معاملة ضيفي اليوم. فغاب الخادم هنيهة واحضر لهما قدحين من شراب «بيكون» فتناول الرجل المجهول قدحًا وقال لفاضل: انك تجهل هذا الشراب الذي يُستخرج من قشور البرتقال فهو جيد جدًا والاقبال عليهِ عظيم عندنا وفي السنة الماضية تمكّن احد المشتغلين بصنعهِ من تزويج ابنة لهُ واعطاها مليون فرنك نقدًا

— مليون فرنك !

— ليس هذا شيئاً بالنسبة الى غناهُ العظيم فقد بنى في السنة الفائتة معملاً لهذا الشراب كأنهُ خمسة ملايين فرنك وهو في الحقيقة اشبه بقصر. وسنمرّ عليه في هذا المساء فتشاهد فخامتهُ. وفي كل يوم يُخرج من هذا الشراب كمية وافرة ويبيعها باحسن الاثمان ويربح الارباح الغزيرة — ولكن ما لنا ولكلام الآن هاهُ نأكل

وكان الخادم قد اتى بصحفة بواياباس فقدَّم الرجل لفاضل كفايتهُ وزيادةً ثم قال لهُ: كيف تجد هذه الاكلة ألم أقل لك انها لذيذة للغاية

امَّا فاضل فلم يهتدِ الى ما يجيب بهِ فان غداءهُ كان يختلف جدًّا عمَّا اعتاد ان يتناولهُ في بيتهِ من المآكل

ثم انَّ الرجل قدَّم لفاضل قنينة من خمر بوردو قائلاً: اشرب من هذه الخمر الجيِّدة فانها تقوّي المعدة وتزيد شهوة الاكل

قال فاضل: لم تسبق لي عادة بشرب الخمر

— نعم لا اجهل ذلك فمن مجرَّد النظر الى وجهك يعرف كلّ احد انَّك لا تشرب غير الماء صرفاً. ولكني أريد اسقيك الخمر لترى طيبتها وحسن فعلها. فاشرب اذاً هذه الكأس

فرفع فاضل الكأس وشربها. فقال الرجل:

أمَا انها من أحسن الخمر واجودها ثم فتح قنينةً أخرى وملأ منها كأس فاضل التي كانت قد فرغت وناولهُ فشرب. وما مضى يسير من الوقت حتى اضطرب دماغ فاضل واصبح كمن لا يعي ولا يُبصر. ثم جيءَ بالقهوة في فناجين كبيرة فزادت تأثير الخمرة في رأسهِ. واخيرًا نهض الاثنان ورجلا فاضل تكادان لا تحملانهِ فأمسك رفيقهُ بيدهِ وذهب بهِ الى الجنينة التابعة للمطعم وجلس معهُ على مقعد هناك في محلّ منفرد بعيد عن الابصار وناولهُ سيكارًا فاشعلهُ واخذ كلاهما يدخنان مسرورَين

وما كاد فاضل يتكئ على المقعد حتى اطبقت عيناهُ فمثل لهُ الخيالُ والدتهُ وعلق يفتكر في مرارة اغترابهِ عنها ويقدّر انها تشخصهُ دائماً قبالة عينيها كما انهُ هو يخالها دائماً لدنهُ. ولو أنَّها رافقتهُ لكان يدخلها الى تلك الجنينة الجميلة المنظر الكثيرة الاشجار والازهار ويُذيقها اطعمة غريبة شهيَّة لم تذقها عمرها كلهُ ويسقيها كاساً من لطيب النبيذ. ثم

رأى نفسهُ كأنهُ يتحدَّث معها تحت تلك الظلال الوارفة بفرح وسرور دون ان يكدّر احد صفاءها. ولا يخفى ان التفكر بالوطن والاهل في أيام الغربة لهو من اشهى الاشياء للغريب. ومن ثمَّ حسب فاضل تلك الدقيقة من احسن أيام حياتهِ

غير انهُ بينما كانت افكارهُ مشتغلةً بهذه الامور انتبه فرأى الظلال قد زادت تكاثفاً والشمس قد مالت عن الأفق ونظر الى ما حولهُ فلم يرَ احداً فافتكر ان مُضيفهُ ربما يكون قد غاب عنهُ لمدّة يسيرة ثم يرجع بعدها. فانتظر ولكن على غير جدوى فاستخبر عنهُ فلم يقفهُ احدٌ على خبرهِ. فهمَّ بالانصراف فطالبوهُ بثمن الغداء. فاحتجَّ فلم يتنع احدٌ باحتجاجهِ. فمدَّ يدهُ الى منطقتهِ ليُخرج منها الثَّمن المطلوب الّا انهُ لم يجدها. . .

وفي اليوم التالي نشرت جرائد مرسيلية في جملة حوادثها المحليّة خبر هذا السلب قائلةً: « ان احد السوريين ممَّن انتهوا مؤخراً الى مرسيلية قد سُلب في جنينة روبيون. وذلك ان رجلاً حسن الملبس بعد ان غدَّاهُ غداء فاخراً واسكرهُ سلبهُ منطقتهُ وكان فيها مبلغ من الدراهم اتى بهِ ذاك المسكين ليستعين بهِ على متمَّة سفرهِ الى اميركة. اما رجال الشرطة فجادُّون في البحث ولكنَّهم حتى الآن لم يعرفوا السالب »

وطالع الناس هذا الخبر في جملة ما طالعوهُ من الحوادث ولكن دون ان يلتفت اليهِ او يرثي لحالهِ احد. ولا عجب لان حادثاً كهذا من الامور التي تقع كلّ يوم في مدينة مرسيلية وغيرها من المدن الحافلة بالسكّان

ولنعُد الآن الى فاضل ونشاهد اي حزن حلَّ بهِ على اثر هذا المصاب فنراهُ راجعاً في الليل الى حيث كان رفقاؤهُ يقودهُ اثنان من رجال الشرطة كما يُقاد المجرم. وكان بصرهُ منخفضاً وقلبهُ يكاد يتمزَّق غمًّا. فلمَّا وصل بهِ الشرطيَّان ناديا على رفقائهِ قائلين: « انهُ قد سُلب ». ثم تركاهُ وذهبا

وأخذ فاضل يتأمَّل في شقائهِ ويقول: يا لتعساتك يا فاضل ويا لنحس حظّك كيف ذهبت منك تلك الدراهم التي حصَّلتها بالكدّ والتعب وعرق الجبين واخفيتها عن كلّ الابصار ولم تكن تخرجها من مخبإها الّا حتى تُمدَّها او تُضيف اليها غيرها. فكم كنت تقتصد حتى لا تمسَّها وكم كنت تحرم نفسك من اللذائذ حتى تبقيها كما هي فجاءت يدٌ اثيمة فجرَّدتك منها. آه ثم آه لقد طويتَ الاسفار ومخاطر البحار حتى تصير غنياً وتكثر ما لديك من الدراهم فخانك الدهر ولقتلك كل شيء. قبل ان تصل الى حيث

انتَ قاصد. فما كان ضرَّك لو بقيتَ في بيتك آمنًا مستريحًا دون ان تتغرَّب وتتحمَّل هذه البلوى. كيف رقصتَ مع ما تدَّعيه من الحذاقة والفطنة في فخاخ رجل مجهول يزعم كذبًا انهُ وكيل لاهمّ الحلَّات التجاريَّة في ليون. ترى ماذا يقول يوسف وابرهيم وعبد الله وموسى خاصَّةً اذا ما بلغهم خبرك ألا يستهزئون بغبـاوتك وتفشُّلك وتصير احدوثة في افواههم وافواه اهل كلّ القرية. وماذا يؤلمك ايضًا أن لا يتَّصـل الخبرُ بجرائد بيروت فتدرجهُ في اعمدتها وتنشرهُ في كلّ انحاء سوريَّة. ثمَّ ماذا عسى ان تقول والدتك التي كانت ترجو منك ان تبعث اليها بالدراهم تباعًا اعتمادًا على مهارتك. ماذا عساها ان تقول اذا عرفت انك قد خسرت كلّ شيء. واصبحتَ لا تملك شروى نقير

وبعد هذه الافكار كلّها خطر لهُ ان يركب البحر عائدًا الى سوريَّة. ولكنهُ كان قد اتَّخذ من الشركة التي تنقل المهاجرين الى اميركة تذكرة سفر ودفع قيمتها فعدولهُ عن السفر معها موجبٌ لخسارة ما دفعهُ فضـلًا عن انهُ يضطرّ ايضًا الى دفع اجرة رجوعه فتصير الخسارة مزدوجة. وبعد هذا كله ماذا عساهُ ان يلاقي في سوريَّة سوى الاستهزاء والتهكُّم عليه. وكان موعد السفر في ثاني يوم صباحًا قبل ان يطلع الفجر نهض لفيف المهاجرين فتوجَّهوا الى محطَّة السكة الحديديَّة فتبعهم فاضل معوِّلًا على اللحاق بهم ومعلِّلًا نفسهُ انهُ يخدمهم في اثناء السفر فيجود عليـهِ هذا برغيف وآخر برأس من البطاطا المسلوقة وغيرهُ بقبضة من الزبيب وهكذا يتعيَّش حتى يصل الى اميركة (ستأتي البقية)

كتب شرقية جديدة

C. A. Nallino: La Transcription des noms géographiques Arabes, Persans et Turcs: *Le Caire.*

هي مقالة افرنسية ذات ٢٩ صفحة بيَّن فيها صاحبها العـلَّامة نلّينو ما ينالهُ العلماء المستشرقون من الفوائد الجمَّة باتِّباع قاعدة معلومة في نقلهم الاعلام العربيَّة والفارسيَّـة والتركيَّـة الى اللُّغات الاوربية بحيث يستدلُّ القارئ لاول وهلةٍ على اللفظة الاصليَّة دون اشتباه. وقد اجاد الكاتب المذكور ببيان ضرورة الاتِّفـاق بين العلماء على هذه الكتابة الواحدة. ولكن نراهُ قد اخلَّ بذكرهِ الطريقة المؤدِّية الى هذا الاتفاق. فانهُ يرتأي انَّ الحروف التي لا شبهَ لها في اللغات الاوربية يحسن بهـا ان تُكتَب بحرف منقَّط كالحاء